

جامعة وهران 1

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

إعداد: الأستاذ / سطمبول ناصر.

ملزمة الدروس لطلبة ماستر 1

لسانيات عربية/ لسانيات النص/ تحليل النصوص /تحليل الخطاب السردي

لسانيات النص الأدبي.

لسانيات السرد القصصي

- 3 -

السنة الجامعية 2019 /2020 م

المقرب اللساني البنيوي للنص لدى "رولان بارت"

التحليل اللساني البنيوي للسرد القصصي

أ. سطمبول ناصر.

يعد رولان بارت من الذين أسهموا في ترسيخ المبتغى العلمي للأدب وعليه كان جهده وقفا على تأدية تلك التأمّلات التصورية التي تراعي الأخذ بالأدب إلى جهة المعطى الإجرائي متعديا في ذلك تلك الجاهزية المعيارية التي ظلت تحصر الأدب ضمن حرج السياق كي تعزز وجودها من جهة الأخذ بمحددات النص ضمن صرامة جامدة وعليه ظلت جملة النصوص تدعن لمهيمنة الإسهام التجريدي لعيانية الأنموذج الذي تتقصده، وكذا ما تبنته المناهج لاتباعية النص الإجرائي وعليه ظل بارت يتوسم في حضور ذلك الكائن النصي الذي تؤديه الكتابة عبر تحولات اللغة وانعطافات البلاغة، كونها تجلي بنوية التكوين النصي في ضوء ذلك التكثيف من الأداء المنتهي إلى تلك المحصلة من الفردة التي لا تعضدها اتباعية المباني وكذا الإذعان للجاهز من الوثوقيات المنهجية ونحوية المعايير مما يخول النصوص ضمن حرج المغلق من الاشتغال المكرر والدائري. هذه الصّلاية ظلت لا تباشر ذلك الاشتغال الدلالي لفردة النصوص ضمن أفق المتلقي وهو يؤدي تطويع النص إلى ذلك التقويض المفعم بالأداء المتعاقب في إنتاج دلالاته من غير أن يركن إلى المسلم به من الإكراهات حيث سكونية الأنساق ووهن انزياحاته وفتور أبنيته، من هنا نتج ذلك الصراع المحتدم الذي سلكه بارت Barthes بين متقابلين متدافعين (السياق والنسق) أو ما بين تلك الاتباعية التقليدية وما أفرزته تلك التصورات المحدثّة مما انتهى حال هذا الأمر إلى ذلك النزوع في ترسيخ معالم التجدد في التواصل مع النص والاشتغال مع أنساقه المتحولة ومن ضمن المعالم الجوهرية لهذا الصراع الذي تمثل " في قراءة بارت لراسين مما أفرز وأثار

سجالاً ضد منطلقات النقد الأكاديمي الممثل في ريمون بيكار **Raymond Picard** الذي وصف إجراء إزاحة السياق وحياديته بالتدجيل النقدي وبالشمولية وبالزيف وبالادعاء. هذه الأوصاف تشير إلى الصراع النقدي بين القراءة السياقية والقراءة النسقية ومهما يكن من أمر فإن النقد الجديد تبنى فيما بعد المنهج البنوي ولاسيما في أوساط المثقفين الفرنسيين لقد وضع حداً لسيادة التفكير حيال النص / الوثيقة¹.

من هنا يبني طرح بارت **Barthes** التصوري انطلاقة من ثورته على ما أفرزه السياق التاريخي عبر تواصله لتلك الفلسفات التنظيرية التي عالجت النسق ومقولاته، وفي ضوء محصلته العلمية أدرك علمية الأدب عبر اقترابه البدئي من مطارحات **دوسوسير de Saussure** اللسانية كونها خلصت التفكير اللغوي من ذلك التأمل المغلق وتلك الصورية التي لم تفتح على مقارنة اللغة من التفكير النسقي ومن ثم ترد تلك الحياة العلمية للغة، مما حدا في المقابل بدوسوسير ببيكون أكثر ولعا للنسق إضافة إلى ما نتج لدى **لفي ستروس، Lévi-Strauss** ذلك أن النسقية تعد جوهرًا وموطناً لتلك الجدّة من التصور، حيث اللغة ظلت لدى بارت بين إطلاقية التأمل وإجرائية المعايير الجامدة وهذا حرج لَز إليه حال التفكير البارتي ولعل هذا ما شكل قلقاً لديه في تأخير الوحدة الحتمية للكتابة² على الرغم من أن النسق أفرزه الشكلايون الروس قبل أن يلج له ذلك الحضور الفعلي ضمن المعالجات اللسانية البنوية، وعلى هذا الأساس أدرك بارت أهمية المفارقة القائمة بين (الأبعاد التاريخية للغة من ناحية وكلام نصوص بأعيانها من ناحية ثانية وجذور هذه اللغة من ناحية ثالثة)³، مما عنّ له أن الأدب ظل ردحا من الزمن ينهض على صورية مغلقة يؤدي بالتواتر تلك الفاعلية من الأداء المرجّح ووفق نمط من الإلزامية وحال من الإكراه الحرج ولرهاب من الرقابة الأدبية ومن غير أن تتوطأ آلية فقه اللغة بمهمة جوهرية سوى التمكين لتلك الحرفية لمعاني العبارات الصمّاء

¹ - أحمد (يوسف)، القراءة النسقية ومقولاتها النقدية، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران، ط1، 2001-2002، ص: 93.

² - ينظر، بارت (رولان) نقد وحقيقة، تر - منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، -الأعمال الكاملة- ج3، حلب، سوريا، ط01، 1994، ص: 81.

³ - كيرزويل (أديث)، عصر البنوية من ليفي ستروس إلى فوكو، تر جابر عصفور، دار آفاق للصحافة والنشر، بغداد، 1985، ص: 182.

أو مطاولة الثواني من المعاني كي تستشرف من خلالها وجها آخر مغايرا لتلك الفردة الضيقة والأحادية الحرجة، في مقابل هذا أدرك بارت ما تؤديه اللسانيات في ضوء ذلك الاشتغال على دقائق محمولات النسق ومن غير أن تبقي على غموض اللغة بقدر ما كانت مكرسة على فهمه ومطاولته عبر تعاقب الوحدات اللغوية وكذا على تأسيس مشروعيتها في نحو ما انتهى إليه **ياكوبسون Jakobson** في ترسيخ ذلك الصرح للمقام العلمي حين ركز على الغموض المؤسس صوب الرسالة الشعرية⁴.

لذا يأخذ متصور بارت Barthes تلك الفاعلية الجوهرية من التقلب إذ لم يركن ضمن أحادية المأخذ التصويرية لمقولات النسق، مما حدا به كي يمتح ذلك التوثب التصوري الذي يجوب كل النظم من غير أن يركن إلى ثبات قار، وعبر إدراكه للمحتمل النصي من جهة غموضه الذي تؤديه أنساقه الرمزية تبدى له من جهة ذلك التخطي الذي طرحه التحليل النفسي اللغوي لدى **جاك لاكان Jacques Lacan** وهو ينفلت من اتباعية المذهب الفرويدي للسياق وكذا نسقية أنثروبولوجيا لوفي ستروس Lévi-Strauss وفاعلية التعدي التصوري لدى **ألتوسير** عبر محدث القراءة لنصيات **ماركس الجدلية**⁵.

إن مجمل هذا التحصيل أفرز لدى بارت الأخذ بنسقية الأدب عبر مُحصلة الكتابات التي تجلي مجموعها، **فالشكلانية الروسية** أنتجت هي الأخرى بدورها تلك الفاعلية في ترسيخ علم الأدب من جهة النزوع إلى أدبية الأدب في ضوء مجانية الأخذ بمرجعيات الأسيقة وتحاشي التاريخي منها وكذا الأدبي وفي مقابله يرد انعدام الاحتكام إلى المبدأ الذاتي (Dimension subjective) للأثر القصصي والمرجعي مما تنهض عليه محددات القيمة⁶، وفق هذا الطرح يتضح أن مقاربات بارت اللسانية البنوية نتجت أساسا من ذلك التخطي لمرجعية **دوسوسير** اللسانية إذ أوقف فعالية تصويره المكابد لعنت التلقي من جهة النقد الأكاديمي حيث تولدت معالم ذلك التدافع بينه وبين **بيكار**، مما أفرز معترك ذلك

⁴ - ينظر بارت (رولان)، نقد وحقيقة، تر: منذر عياشي، الأعمال الكاملة، ج03، ص: 85.

⁵ - كيرزويل (أديث)، عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو، تر: جابر عصفور، دار آفاق للصحافة والنشر، بغداد، 1985، ص: 182.

⁶ - سمير (المرزوقي)، جميل (شاك)، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دار التونسية للنشر، ص: 68

السّجال بين أفق الانفتاح وكوابح الانغلاق ذلك التحول المؤدي إلى تلك التعددية من القراءة مما نتج في المقابل انفتاح النص على هذا المآخذ من الإجراء ذلك أن محدّدات النص انعطفت إلى تلك الدلالات المفتوحة من غير أن تسند إلى مرجعية سيرة الكاتب ووثوقية سياقه غير أن بارت مكّنه هذا التصور كي ينسف هذه المآخذ المتبعة في قراءة النصوص ومن غير أن يظل المؤلف كاجبا في أداء القراءة إذ مكن مؤلف راسين كي يكون مثيرا لحفيظة الدرس الأكاديمي.

وعلى هذا الأساس تم لبارت تكريس جهده العلمي في تكريس الأنموذج لما يليبه لعلمية الأدب بعامة وكذا سلميات الخطابات عبر قاعدية الجمل دون الانحصار ضمن أداء مغلق لأوليات المعاني عبر تكديس لذلك الإرث المعياري وما يتصف به من صرامة موصدة لتلك النّحويات المجردة وعليه انعطف بارت إثر فاعليته التصورية حين استعار من هيمسليف **hjelmslev** فكرة المستويات الثلاثة والتي تنطوي عليها اللغة حيث يتصل أولها بالإطار (Schéma) وهو مصطلح يشير به بارت إلى الخصائص الصوتية كما يتصل ثاني المستويات بالمعيار (Règle) وهو مصطلح يشير إلى القاعدة الصوتية التي يحددها السياق الاجتماعي (حال جملة اللغة الفرنسية التي يقبلها الحس اللساني للفرنسيين) وثالث هذه المستويات هو الاستخدام (Usage) ويتصف هذا بمجموعة العادات الاجتماعية التي تتمايز فيما بينها نحو نطق حرف من إقليم لآخر⁷.

وفق هذا الإجمال من التمثل التصوّري والإجرائي في الوقت نفسه أمكن لبارت Barthes أن يقارب تلك الطبيعة النسقية وهو يُجري الأخذ بالفرع منها إثر مباشرته للأفق اللغوي وعليه يمكن أن يقوم علم للخطاب فقط، دون أن يكون حكرا على أحد، وستكون لهذا العلم أرضان واسعتان، وذلك يتعلق بالإشارات التي يعالجها، اما الأولى فتحتوي على

⁷ - Voir/ Louis Hjelmslev, Essais linguistiques, Paris, Ed/ Minuit, 1971, P :81.

- كيرزويل (أديث)، عصر النبوية من ليفي ستروس إلى فوكو، تر جابر عصفور، دار آفاق للصحافة والنشر، بغداد، 1985، ص: 183.

- مثل هذه المستويات الثلاثة نجد أن كل خاصية تقابل ما قدمه التوزيع لدى دوسوسير، حيث المخطط أو الإطار (المخطط الخالص للغة لدى هيمسليف) يقابل اللسان، الخاصية الثانية تقع على الجانب المادي للغة ويطلق عليه المعيار إثر ذلك يرد الاستعمال كمقابل للكلام لدى دوسوسير.

الإشارات الدنيا للجملة ... وأما الثانية فتحتوي على الإشارات العليا للجملة وعلى أقسام الخطاب، حيث يمكننا أن نستخلص بنية قصصية أو رسالة شعرية أو نصا استدلاليا وعبر هذا النمط من التشجير للخطاب ينتهي بارت **Barthes** إلى الأخذ بالشكل صوب تلك العلاقات المضمره والتي تتخطى في الوقت ذاته تلك الجرافية من التعميمات المتعسفة والتقديرية الضالّة⁸.

من هنا يدرك بارت **Barthes** بنية القصة عبر مترية السرد النسقي وتعاقب وحداته اللغوية كونها تتبني على تلك الأشكال المتناهية، إذ تقع ضمن ذلك التشكل الجامع وعلى محورية من التعالق النسقي بين صوغ الأشكال التعبيرية، الشفوية منها والمكتوبة والثابتة والمتحركة⁹ كما أنها في الوقت ذاته تكاد تؤدي ذلك التبئير البنيوي من الحضور الدائم ضمن الأشكال اللامتناهية، لذلك فهي لدى بارت **Barthes** تتحدّد بوصفها مداراة الأنماط البدئية والمتشكلة ابتداء من نسق السرد التاريخي إلى نسق الموضحة في كل واجهة عرض زجاجية، من هنا يستشرف بارت **Barthes** عبر فاعلية تعاقب سردية القصة ذلك التنقل من النسق المغلق إلى النسق المفتوح، وعليه يمكن التساؤل عن ما أثاره حول بنوية القصة كونها تختزل مشمولات الأدب السردية، وكأن النسق المفرد لم يعد له وجود أو يتمتع بحياسة الاستقلال الفردي، إذ يتوخى بارت من جهة تكوثر أنساق الأشكال السردية ضمن بنوية القصة إلى غاية الحد الذي يجعلها تتمركز في اللامعنى أم أنه نسق يُنذر بحضور اللانسق، كونها كونية بلا معنى¹⁰.

من هنا، يتخذ بارت **Barthes** من خطاب القصة مولجا للخطاب المطلق، فالمحكي من الخطابات سابق على تشكل النسقي المغلق لبنوية القصة، فهي المتعدّد والخليط وهي التداخل والتقاطع والاشتراك، إذ هي "المحتمل الأكثر تعقيدا والمركب الأكثر بساطة"¹¹، ولعل هذا في مجموعه يرد عصيا على المطاولة البنوية، لأن البنوية تأسست على مسلك

8 - ينظر المرجع نفسه، ص: 104

9 - بارت (رولان)، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عياشي، دار الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط01، 1993، مج 02، ص: 25-26.

10 - ينظر المرجع نفسه، ص: 26

11 - المرجع نفسه، ص: 27

تلك الوثوقية، التي تراعي جبر الوحدات من دعا بتشومسكي Chomsky كي ينعتها بالنزوع التصنيفي دون الانفتاح صوب إنتاج الدلالة التفسيرية ومن ثم فهي شرعة تتبني على التحدد لحسابية الوحدات اللغوية وجبرية العلاقة التعااقبية في نمط من المحايثة، إثر هذا يقدم بارت بنوية القصة كونها أنموذجا تجريبيا لا يخضع سوى لذلك الافتراض لأن اللامتاهي من جهة الانزياحات والتعدد والتنوع، ولعل هذا هو القصد من التحول اللامتاهي للنسقية التي تجعلنا نتساءل عن المغلق في معتقد البنوية وشرعتها، كونه تماهيا بوهم مما ألقى بها صوب ذلك الانغلاق والانسداد على الرغم من الكونية التي انتهت إليها توصيفه لها وكذا التعدد اللامتاهي، حيث يقابله بالإجراء الاستدلالي، مما يؤكد أن شمولية الأنموذج السردى هو نسق متحوّل دوما يتصل بمدارة اللاوعي الإبداعي مما لا يدعنا نركن إلى غفلة عن ذلك التكوثر للأنساق والتحوّلات وهي تباشرها وهي على نحو من المرونة المتوثبة.

وفي مقابل هذا ينتهي بارت Barthes إلى الإفصاح: (من الحكمة أن نجعل اللسانيات ... نموذجا أساسيا للتحليل البنوي للسرد)¹² مما دعاه كي يذهب إلى مدارسته ومعالجته بالتحليل إزاء ما سلف ذكره، أنه حين ينتهي إلى لغة القصة يتبنى عن مارتنيه Martinet تلك الخصوصية للجملة كونها تجلي ذلك المقطع الأكثر صغرا والتي تمثل الخطاب تمثيلا تاما وكاملا¹³. وهنا يهتدي في الوقت ذاته إلى بنفينيست Benveniste حين ذلّل تلك الصرامة لدى دوسوسير de Saussure منتقلا من سنن اللسان إلى فاعلية الخطاب، مما أفرز حيّزة للذات المتكلمة كما أنه استوحى عنه نظريات المستويات التوزيعية والاندماجية مما جعلها مسلكا لمعالجة تعاقب المتواليات لنسق القصة ليخلص من هذا الطرح كي يقدم الخطاب بوصفه جملة كبيرة وهذا ما جعله كي يخلص إلى: أن القصة جملة كبيرة، منعظا إلى ما اقترحه غريماس Greimas حول نظام نمذجة الفواعل، منتهيا إلى أن اللغة لديه لا تكفّ عن مصاحبة الخطاب¹⁴، ثم ينتهي إلى انعطاف آخر يؤدي به إلى ما توخّاه ياكبسون،

12 - المرجع نفسه، ص: 29.

13 - المرجع نفسه، ص: 30.

14 - المرجع نفسه، ص: 33-34.

Jakobson قصد معرفة (البنية المزدوجة **Double structure** ، ذلك المفهوم الذي فسّر به ياكوبسون Jakobson الأوضاع الخاصة للعلاقات بين الرسالة والشفرة ويفسر به بارت المعاني المزدوجة للكلمات في الكتابة)¹⁵.

إن القيمة اللسانية، ترد من جهة المُكوّن اللساني وهو على توسّع ، فاللسان يتأسس عنه ويصدر تشكل النسق العابر صوب التوسّع، لأن العملية لا ترتبط لمجرد حضور فزادة الكلمة بمعناها أو اقتران صوت الكلمة بما يقابلها، حيث ينصب الأمر على انسجام النسق، وعليه فخصوصية الترابط شرط جوهري ، لأن القيمة اللسانية لأي كلمة تكشف في مقابل التجاور مع محور التعاقب الأفقي حيث التماثل والاختلاف، والوصل التعاقبي ، إنها الصلة الرابطة ، فالنسق يضبطه نظام التماثل والاختلاف، فالكلمة هي علامة لسانية تنحصر عبر حرج الدلالة المعجمية التي لا تنفلت إلى جهة الأداء التأويلي الأوسع والمختلف ، (إن علامة لا يمكن أن تكون إلا مرة واحدة ، ليست في شيء من العلامة ، علامة مفردة خالصة ليس لها أن تكون كذلك . فالدال عموما ينبغي أن يُقرّب على هيئته رغم اختلاف السمات التجريبية وتنوعها).¹⁶، من هنا تتحدّد القيمة اللسانية، إذ هي تتخلق من جهة العلاقة اللسانية الرحبة القائمة على مكوّن التغير ، فالكلمة حين نباشر حضورها المفرد لا تمثل إلا نفسها [صوتها ومورفولوجيا التشكل]، كما أنها لا تنهض على الوظيفة الإيحائية بمعزل عن التشكل الجامع أي حضورها ضمن عناصر اللسان وفق مُعطى التغير، هذا إن كانت تتموقع ضمن أداء المُحتمل الأكثر التباسا من حيث كثافة الانزياح لنسق التركيب اللغوي - كما سلف ذكر ذلك -، إثر هذا يُلفتنا الأمر كي ننعطف إلى جهة غريماس Greimas، حين أبرز عبر اصطلاح التشاكل " **Isotopie** " من جهة الاتساق (تعاقب الجمل) ، إذ لا يتحقق الاتساق الدلالي إلا من جهة تنضيد المأخذ الدلالي الذي يتأتى من طبيعة التقابل المُختلف ، حيث هذا التعاقب لا يرد بوصفه اعتباطيا. إذ تحكمها تلك المعطيات المعرفية وهي على نحو

15 - - كيرزويل (أديث)، عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو، تر جابر عصفور، ص: 184.
16 - دريدا (جاك) ، الصوت والظاهرة ، تر/ فتحي أنقوّو، المركز الثقافي العربي بيوت، المغرب، ط/2005، 01، ص/90.

التمثيل التصوري التجريدي لمجوع أسبقة العالم المعيش، إذ تصدر عن حاصل المكوّن الدلالي للنص، لما يُعرف بالبنية العميقة، فالنص لا يفصح بالمعنى إلا عبر فاعليات الممارسة الدالة لأن طبيعة التجاور الذي يقيمه النص، انطلاقاً من الوضع المورفولوجي مع نسق اللسان هو سيرورة خلافية، فالاختلاف يقع بين طبيعة المكوّن، النصي ونظام اللسان، إنّها بمثابة مُنافرة متدافعة، لأن نسق النص يظل مؤدياً لرحابة التشكّل اللانهائي من غرابة الأنساق دون ثباتٍ، فهو إذن يُلاحق اللسان ويُساجل مُمكنات أنظّمته عبر تشكّل ليكسيماته (ليكسيم / Lexème) وسيميّماته (سيم / Sème) * عبر المأخذ من الجهة الدلالية، إذ يقوّض نحوّيته، وإزاء هذا، لا يُقرّ الحال الدلالي عبر حذو من الأداء المُشترك أو المتواضع عليه، وهذا ما استثمره غريماس Greimas ضمن الحقل الإجرائي بين البنية السطحية والبنية العميقة وهذا يتم وفق فاعليات التعاقب للسلسلة الاستبدالية للأنساق السردية.

* - اليكسيم / Lexème: وحدة لغوية دنيا تكوينية صغرى (عجم)، A lexeme is the basic unit of meaning حضور خصائص لمكوّن في الذهن لدر دوسوسير .

- السيم / Sème : الوحدة الدلالية الصغرى (Unité minimale différentielle de signification) - مستوى التعبير -

وفق تقريع اللسانيات للظاهرة اللغوية و